الأستاذ الدكتور:الياس مستاري
المقياس:نقد أدبي قديم
السنة الأولى ليسانس
المجموعة: ب

المحاضرة الرابعة: مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة

إن الشعر ديوان العرب، ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون، وظل هذا النوع من الكلام يحفظ ويتناول في البيئة العربية قبل الإسلام وبعده جيلا بعد جيل.

وقد دخلت لفظة " شعر" بيئة النقد الأدبي، واكتسبت دلالة اصطلاحية، إذ شرع النقاد المشارقة والمغاربة يضعون تعريفا لها، ولكنهم تباينوا في ذلك لتباين مصادر ثقافتهم واتجاهاتهم البلاغية والنقدية.

- فيا ترى ما مفهوم الشعر لغة ؟ و كيف نظر إليه النقاد القدامى المشارقة والمغاربة ؟

الشعر لغة:

ورد في لسان العرب في مادة شعر: " الشعر منظوم القول، غلب على شرفه بالوزن والقافية... وربما سموا البيت الواحد شعرا حكاه الأخفش... وقال الأزهري: الشعر... المحدود بعلامات لا يجاورها، والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يَشعرُ ما لا يشعرُ غيره أي يعلم، وشعر الرجل يشعر شعرا أو شعرا وشعر، وقيل: شعر قال الشعر، وشعر أجاد الشعر ورجل شاعر والجمع شعراء... ويقال: شعرت لفلان أي قلت له شعرا... والمتشاعر: الذي يتعاطى قول الشعر... "

مفهوم الشعر عند النقاد القدامى المشارقة والمغاربة:

اهتم النقاد العرب القدامى بالشعر وحاولوا تمييزه عن النثر، وقد كانت هناك محاولات منذ القرن الثالث واستمرت حتى ابن خلدون في القرن الثامن، إلا أن الشعر يصعب "ضبطه ضمن أي تعريف مشروط ومحدود بشكل نهائي"، فالجاحظ (ت255هـ) يقول:

"المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي و العربي،و البدوي و القروي و المدني،وإنما الشأن في إقامة الوزن،و تخير اللفظ،و سهولة المخرج،و كثرة الماء،و في صحة الطبع و جودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير".أي أن الشعر عند الجاحظ يصنع و ينسج و يصور، و الشاعر صانع و نساج و مصور،و أن المعول في الشعر إنما يقع على إقامة الوزن و تخير اللفظ و سهولة المخرج كثرة الماء،و في صحة الطبع و جودة السبك.

أما ابن طباطبا العلوي (ت322هـ) في كتابه عيار الشعر، فقد عرف الشعر بقوله: "الشعر كلام منظوم بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خص به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق، ونظمه محدود معلوم، فمن صح طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه وتقويمه بمعرفة العروض والحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه"، فهو يفرق بين الشعر والنثر وإنما يكمن الفرق في النظم، والنظم عنده تخيير اللفظ والوزن والصياغة، بيد أنه لم يذكر القافية

صراحة، وإنما جاءت متضمنة في كلامه، و هذا التعريف " يحدد الشعر على أساس الانتظام الخارجي للكلمات، ولكنه لا يهتم بالجانب التخييلي من الشعر،من حيث مصدره أو تأثيره،وإنما يهتم بالشعر في ذاته باعتباره خاصية أساسية في العمل الأدبي(شعر أو نثر).

ومن النقاد الذين ذكروا القافية صراحة قدامة بن جعفر (ت337هـ) الذي يعرف الشعر بقوله: "قول موزون مقفى، يدل على معنى"، فقد أضاف القافية والمعنى، وجعل الوزن والقافية هما الفيصل في التفريق بين الشعر والنثر. و الجديد هنا أن الناقد جمع العناصر الأربعة في مكان واحد، ولكنه أغفل الخيال و العاطفة.

ويأتي الناقد الجزائري ابن رشيق (ت463هـ) مستفيدا مما سبقه ويعيد صياغة التعريفات السابقة بقوله: " الشعر يقوم بعد النية على أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية، فهذا هو حد الشعر".و هنا يتفق مع قدامة بن جعفر في وضع حد للشعر،وهو اللفظ و الوزن و القافية و المعنى. و قد أضاف ابن رشيق شرط النية،أي أن يقصد الشاعر قول الشعر،و بهذا يخرج القرآن الكريم و الحديث الشريف من دائرة الشعر.

هذا ويجمع أكثر النقاد المحدثين، أن النقلة الحقيقية في تحديد مفهوم الشعر جاءت على أيدي الفلاسفة الذين درسوا الفكر اليوناني وتأثروا به، خاصة نظرية المحاكاة التي طبقوها على الشعر العربي، حتى ظهر مصطلح جديد، وهو "التخييل" الذي يقصد به التصوير الفني القائم على رؤية ذاتية ومقدرة إبداعية تجعل منه أساس عملية الإبداع الشعري.ومن هؤلاء الفلاسفة نجد: الفارابي (ت339هـ) ،ابن سينا(449ه)،ابن رشد(595ه).

ولكن مفهوم الشعر يتكامل مع حازم القرطاجي(ت684هـ)،فهو يعرف الشعر بقوله: " الشعر كلام موزون مقفى ،من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه. بها يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام وقوة صدقه، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثرها". ويقول في نص آخر " الشعر كلام مخيل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك، والتئامه من مقدمات مخيلة، صادقة أو كاذبة، لا يشترط فيها بما هي شعر غير التخييل ".

في هذا التعريف يذكرنا حازم القرطاجني بقول قدامة بن جعفر ولكن الفرق يكمن في جوانب عدة أهمها :

-أن ليس الشعر وزن وقافية فقط إنما يتعداه لأشياء أخرى .

-أن تعريف قدامة يشوبه بعض القصور، فقد أضاف حازم قوة الشعر التأثيرية .

والماهية الشعرية في نظره تتحقق بتحقق القوة التأثيرية وكل العناصر المترابطة في نصه لا تتحقق إلا بحسن التخييل.

ويأتي ابن خلدون (ت808هـ) الذي يضع حد الشعر بقوله:" الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وما بعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به ".

فقد جعل الاستعارة و الوزن من أهم مقومات الشعر.

وخلاصة القول: إن النظر في التعريفات السابقة، يبين أن النقاد العرب القدامى قد ركزوا على مسألتين الأولى: الشكل والمظهر الخارجي للشعر أو الخصائص التي تميزه عن النثر (الوزن والقافية)، وهذا ما نجده عند ابن طبطبا وقدامة وابن رشيق.

أما المسألة الثانية فهي الصناعة في الشعر، فالشعر صناعة لفظية أو صناعة عقلية أي له قوانين لا بد من فهمها واستيعابها ومن ثم تطبيقها، وهنا يبدو التأثر بنظرية المحاكاة لأرسطو.

وعليه يكون الشعر تعبير لغوي له سمات تميزه: كالوزن والقافية، دعامتها التخييل والتصوير.

المصادر و المراجع:

-العمدة:ابن رشيق
-منهاج البلغاء و سراج الأدباء:حازم القرطاجني.
-عيار الشعر:ابن طباطبا العلوي.
-نقد الشعر:قدامة بن جعفر.
-تاريخ النقد الأدبي عند العرب:إحسان عباس.
-النقد المنهجي عند العرب:محمد مندور.